تقـريـر

مؤشرات كاشفة:

كيف ترسخ الصين موقعها في النظام الدولي؟

12-10-2025

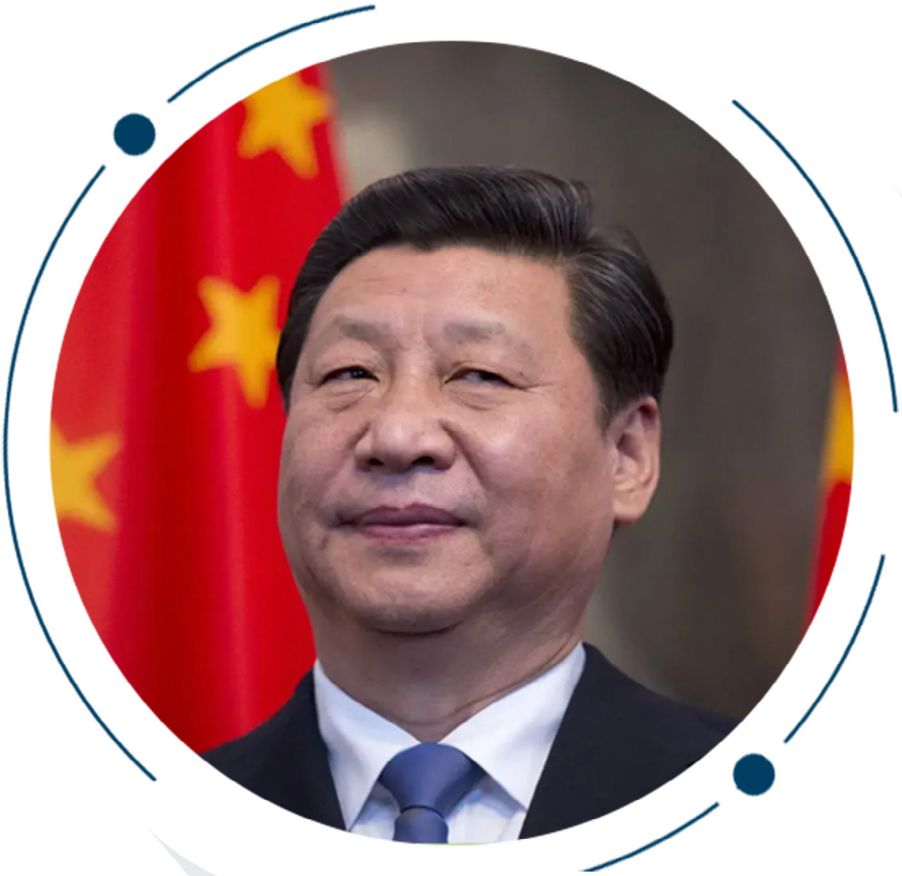

إعداد

نوران عوضين

وحدة الدراسات الآسيوية بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

اجتذبت الصين أنظار العالم، خلال الفترة من 31 أغسطس إلى 3 سبتمبر 2025، عبر استضافتها أولًا لـ«قمة تيانجين»، والتي وصفتها بأنها «أكبر قمة لمنظمة شنغهاي للتعاون على الإطلاق»، وقد أعقب ذلك، يوم الثالث من سبتمبر، تنظيم بكين استعراض ذكرى يوم النصر العسكري لإحياء الذكرى الثمانين لانتصار حرب المقاومة الشعبية الصينية ضد اليابان.

يمثل السياق الدولي الراهن سببًا رئيسيًا وراء هذا الاهتمام العالمي؛ حيث الحمائية الأمريكية والتي ترتب عنها توتر التحالفات الأمريكية العالمية، وتنامي القناعة لدى عديد من القوى الدولية المؤثرة بضرورة إرساء نظام عالمي بديل يتجاوز الأحادية الأمريكية، ويؤسس لتعددية قطبية حقيقية، يحمي مصالح وقيم أعضاء هذا النظام؛ الأمر الذي يتطابق مع ذات الرؤية التي طالما روجتها، وتروجها الصين لما ينبغي أن يكون عليه النظام الدولي. وأصبح التساؤل الرئيسي الذي شغل اهتمام متابعي كلتا الفعاليتين حول العالم هو «كيف نجحت بكين في توطيد أركان مكانتها وقوتها العالمية؟»، وهو ما يمكن الإجابة عنه عبر النظر في الرسائل المختلفة التي بعثتها الصين إلى العالم خلال كلا الحدثين.

إخراج وتصميم

عبد المنعم أبوطالب

أولًا:

طرح رؤية متكاملة للنظام الدولي

في مواجهة ما أسماه بـ «عقلية الحرب الباردة والهيمنة والحمائية التي تُخيّم على العالم»، اقترح الرئيس الصيني عبر منصة «شنغهاي للتعاون» مبادرة «الحوكمة العالمية»، والتي تهدف إلى إقامة نظام حوكمة عالمي أكثر عدلًا وإنصافًا، داعيًا المنظمة للاضطلاع بأن تكون قدوة في تنفيذ هذه المبادرة، بما يمهد الطريق أمام المنظمة لتصبح إحدى الأدوات الرئيسية للانتقال إلى عالم متعدد الأقطاب.

تتكون المبادرة من خمسة مبادئ أساسية، وهي:

أولًا: الالتزام بالمساواة في السيادة، وتعزيز مشاركة جميع الدول في صنع القرار، وزيادة تمثيل الدول النامية وصوتها.

ثانيًا: الالتزام بسيادة القانون الدولي، ومراعاة مقاصد ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة، مع تطبيق القانون الدولي والقواعد الدولية بالتساوي وبشكل موحد، وألا تكون هناك معايير مزدوجة.

ثالثًا: ممارسة التعددية القائمة على التشاور المكثف والمساهمة المشتركة من أجل المنفعة المشتركة، بجانب تعزيز التضامن والتنسيق، ومعارضة الأحادية.

رابعًا: دعم النهج الذي يركز على الإنسان، بحيث تكون شعوب كل دولة فاعلين في الحوكمة العالمية ومستفيدين منها، بهدف مواجهة التحديات المشتركة، ولتضييق الفجوة بين الشمال والجنوب، ولحماية المصالح المشتركة لجميع البلدان بشكل أفضل.

خامسًا: التركيز على اتخاذ إجراءات فعلية، عبر اعتماد نهج شامل وتنسيق الإجراءات العالمية، وحشد الموارد المختلفة بشكل كامل[1].

وبحسب المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الصينية، «قوه جيا كون»، «تعد المساواة في السيادة الركيزة الأساسية للمبادرة، وسيادة القانون الدولي الضمانة الأساسية، وتعددية الأطراف هي المسار الأساسي، ويمثل النهج المُركّز على الإنسان القيمة الأساسية، واتخاذ إجراءات فعلية مبدًا مهمًا» [2].

وبذلك، تنضم مبادرة الحوكمة العالمية إلى المبادرات الثلاث التي سبق وأن قدمتها الصين إلى العالم من قبل، وهم: مبادرة التنمية العالمية، ومبادرة الأمن العالمي، ومبادرة الحضارة العالمية، لتقدم الصين بذلك رؤية متكاملة، سياسية واقتصادية وأمنية وثقافية، للنظام الدولي، «تُجسد -بحسب قوة جيا كون- التزام الصين بتحمل مسئوليتها في الشئون الدولية».

تكمن جاذبية المبادرات الصينية فيما تقدمه من أفكار وقيم تلقى صدى واسع لدى عديد من الدول، خاصة أولئك الذين يشاركون الصين في معارضتها المستمرة للهيمنة وسياسات القوة. فعلى سبيل المثال، يستند هدف «مجتمع ذي مستقبل مشترك للبشرية»، والذي طالما تردده القيادة الصينية، على قيم مثل السلام والتعاون والوئام والتنمية والشمول والاحترام المتبادل [3].

لم يقتصر الطرح الصيني لرؤيتها بشأن واقع النظام الدولي الراهن، وإنما عملت بكين عبر تنظيمها احتفال بمناسبة الذكرى الثمانين لنهاية الحرب العالمية الثانية على إعادة ضبط السردية التاريخية الخاصة بتلك المرحلة، وذلك من خلال تسليط الضوء على محورية الدور الصيني في إنهاء هذه الحرب، وإنشاء نظام دولي جديد، تُشكل الأمم المتحدة جوهره. ومن ثم، تُعد بكين من أبرز مؤسسي هذا النظام، ولا تزال من أبرز المدافعين عنه.

ثانيًا:

إعلاء المصلحة والمنفعة المشتركة

حرص الرئيس الصيني في كلماته التي ألقاها باجتماعي مجلس رؤساء دول منظمة شنغهاي للتعاون، و«منظمة شنغهاي للتعاون بلس» على إبراز التزام بلاده بتقاسم الفرص وتحقيق التنمية المشتركة، مشيرًا إلى تجاوز حجم التجارة التراكمية للصين مع دول منظمة شنغهاي للتعاون 2.3 تريليون دولار أمريكي، وتطور العمل في شبكة الربط متعددة الأبعاد، بحيث أصبح يبلغ طول خطوط النقل البري الدولي بين الدول الأعضاء حوالي 14 ألف كيلومتر.

وقد أكد الرئيس «شي جين بينغ» بأن الصين لطالما ركّزت على اتخاذ إجراءات ملموسة لضمان تنمية أفضل لمنظمة شنغهاي للتعاون، وأنها ستُشارك بفاعلية فرص سوقها الشاسعة، وستواصل تنفيذ خطة العمل للتنمية النوعية للتعاون الاقتصادي والتجاري داخل أسرة منظمة شنغهاي للتعاون، وعزمها إنشاء ثلاث منصات رئيسية للتعاون بين الصين ومنظمة شنغهاي للتعاون في مجالات الطاقة، والصناعة الخضراء، والاقتصاد الرقمي، وثلاثة مراكز تعاون رئيسية للابتكار العلمي والتكنولوجي، والتعليم العالي، والتعليم المهني والتقني.

وأعلن أيضًا عن تخطيط بكين مستقبلًا لتنفيذ 100 مشروع «صغير وجميل» لتوفير سبل العيش في الدول الأعضاء التي تحتاج إلى ذلك، بجانب تقديم منحة بقيمة مليار يوان صيني للدول الأعضاء في منظمة شنغهاي للتعاون خلال هذا العام، وتقديم قرض إضافي بقيمة 10 مليارات يوان صيني للبنوك الأعضاء في اتحاد البنوك التابع للمنظمة على مدى السنوات الثلاث المقبلة. وتعهد الرئيس «شي» بأنه بدءًا من العام المقبل، ستضاعف الصين العدد الحالي للمنح الدراسية الخاصة بالمنظمة، وستطلق برنامجًا مبتكرًا للدكتوراه في المنظمة لتدريب الكفاءات المتميزة في مجال البحث الأكاديمي والعلمي والتكنولوجي. وفي السنوات الخمس المقبلة، ستقيم الصين 10 ورش عمل لوبان في الدول الأعضاء في المنظمة، إلى جانب توفير 10 آلاف فرصة تدريب للموارد البشرية[4].

كما أبدى الرئيس شي استعداد بلاده للتعاون مع جميع الأطراف في بناء مركز تعاون تطبيقات الذكاء الاصطناعي، وتقاسم ثمار التقدم في هذا المجال، مُرحبًا بجميع الأطراف لاستخدام نظام بيدو للملاحة عبر الأقمار الصناعية، داعيًا الدول ذات القدرات ذات الصلة للمشاركة في مشروع محطة أبحاث القمر الدولية[5].

وبذلك، قدّم الرئيس الصيني بلاده كشريك تنموي، ليس فقط أمام دول منظمة شنغهاي للتعاون، وإنما أمام العالم أجمع، بتأكيده سعي بكين نحو تحقيق المنفعة المتبادلة والنتائج المربحة للجميع. يُستدل على ذلك بطبيعة المشاركة الدولية خلال كلتا الفعاليتين. فقد شارك بقمة «تيانجين» قادة من أكثر من 20 دولة، من بينهم رؤساء ورؤساء وزراء من دول آسيا الوسطى والشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا وجنوب آسيا. فيما شهد احتفال يوم النصر حضور زعماء من 26 دولة من روسيا، وكوريا الشمالية، وكمبوديا وفيتنام، ولاوس، وإندونيسيا، وماليزيا، ومنغوليا، وباكستان، ونيبال، والمالديف، وكازاخستان، وأوزبكستان، وطاجيكستان، وقرغيزستان، وتركمانستان، وبيلاروسيا، وأذربيجان، وأرمينيا، وإيران، والكونغو، وزيمبابوي، وصربيا، وسلوفاكيا، وكوبا، وميانمار. وقد أبرز حضور هؤلاء القادة قوة علاقات الصين مع العالم الخارجي، وتحديدًا مع جوارها المباشر ودول الجنوب العالمي.

ثالثًا:

القدرة على إدارة الخلافات

ركزت بكين أيضًا خلال فعاليتي قمة تيناجين واحتفال يوم النصر على إرسال رسالة إلى كل من شركائها ومنافسيها الخارجيين مفادها بأنه ينبغي العمل على التوصل إلى القواسم المشتركة واحترام الاختلافات مع تنحية الخلافات جانبًا، بما يُمكن جهود تحقيق السلام والاستقرار والتنمية، وهي رسالة يمكن القول إنها جاءت في توقيت شديد الأهمية، انعكس صداها، بشكل جلي، خلال كلتا الفعاليتين.

فبرغم خلافاتهما الجوهرية، والتي وصلت في وقت سابق عام 2020 إلى حد المواجهة العسكرية، فقد أسفرت سياسات «ترامب» الحمائية المستندة إلى شعار «أمريكا أولًا»، بجانب تأكيد الصين على ضرورة «عدم السماح لمسألة الحدود بتحديد العلاقات الصينية الهندية الشاملة» نحو استكشاف الهند لمسار «تقارب الضرورة» مع الصين، القائم على إعطاء الأولوية للاستقرار الأمني والاقتصادي بدلًا من استمرار المنافسة[6].

ولهذا، نُظِر إلى لقاء الرئيس الصيني مع رئيس الوزراء الهندي بأنه الحدث الأهم خلال قمة «تيانجين». كما حظيت المحادثة «الودية» التي جرت بين كل من الرئيس الصيني «شي جين بينج»، والرئيس الروسي «فلاديميربوتين»، ورئيس الوزراء الهندي «نارندرا مودي»، باهتمام واسع النطاق نابع من واقع التوافق الذي يجمع القادة الثلاثة المتمثل في قناعتهم بأهمية التحول نحو عالم متعدد الأقطاب، وأهمية التجمعات متعددة الأطراف في تحقيق هذا الهدف، وهو الأمر الذي أعاد القادة الثلاثة التعبير عنه مؤخرًا، وبشكل معلن أمام الجميع، من على أرض الصين، بما يسلط الضوء على نجاح جهود بكين في تنحية الخلافات جانبًا وإعلاء المصلحة المشتركة، وأيضًا مركزية الصين في التفاعلات الرافضة لسياسات الأحادية الأمريكية. وذلك إذا ما أخذنا في الاعتبار أيضًا مشاركة الرئيس الإيراني «مسعود بيزشكيان» بكلتا الفعاليتين، وجلوس الرئيسين الروسي والكوري الشمالي بجانب الرئيس الصيني طوال استعراض يوم النصر العسكري[7].

وعلى الصعيد المقابل، فعلى الرغم من الخلافات طويلة الأمد حول مطالب السيادة ببحر الصين الجنوبي بين الصين وعديد من دول جنوب شرق آسيا، فقد مثلت مشاركة قادة ماليزيا وإندونيسيا وكمبوديا ولاوس وفيتنام وميانمار، بكلتا الفعاليتين، نجاحًا إضافيًا للخطاب الصيني المؤكد على أهمية تنحية الخلافات والابتعاد عن المواجهة لصالح البحث عن المصالح والمنفعة المشتركة.

تتصل المشاركة الأخيرة لهؤلاء القادة بالجولة الخارجية التي أجراها الرئيس «شي جين بينغ» إلى فيتنام وماليزيا وكمبوديا، منتصف أبريل الماضي، والتي كشفت نتائجها عن طبيعة النهج الصيني في منطقة جنوب شرق آسيا القائم على التعاون المربح للجميع؛ حيث أبرزت الاتفاقات والتفاهمات التي تم التوصل إليها في ذلك الحين مدى تداخل الصين بالقطاعات التي تمثل أهمية في مسار النمو الاقتصادي والتنمية لدى هذه الدول؛ الأمر الذي أصبحت الصين بمقتضاه هي الشريك التجاري الأول لغالبية دول هذه المنطقة، ومساهمًا لا غنى عنه في مشاريع تطوير البنية التحتية [8]، وهو ما انعكس بشكل إيجابي في مسار توطيد الصين لعلاقاتها السياسية والثقافية والشعبية مع هذه الدول، بما يعرقل أي محاولة، لا سيما من جانب الولايات المتحدة، لانفصال هذه الدول عن الصين.

رابعًا:

التأكيد على قوة الشراكة مع روسيا

تزامنت الفعاليات التي استضافتها الصين في سياق محاولات الولايات المتحدة تفكيك الشراكة الاستراتيجية بين الصين وروسيا؛ الأمر الذي باتت تُعرفه عديد من الكتابات باسم «عكس نيكسون»، أو «عكس كيسنجر»، والتي تشير إلى اتجاه واشنطن، في سبعينيات القرن الماضي، نحو تطبيع العلاقات مع بكين، بهدف عزل الاتحاد السوفيتي. ويبدو أن الرئيس الأمريكي يعمل على إعادة تطبيق هذه السياسة، ولكن بشكل معاكس، عبر تبني نهج تصالحي مع روسيا قائم على استئناف الحوار المباشر بين قادة كلا البلدين، بما قد يسهم لاحقًا في إنجاح محاولات الولايات المتحدة الرامية إلى فصل روسيا عن الصين، واحتواء الانتشار العالمي للأخيرة.

ومع ذلك، أظهرت مشاركة الرئيس الروسي «فلاديمير بوتين» بقمة «تيانجين»، واستمرار إقامته بالصين لحضور احتفال يوم النصر مدى القوة وحجم الثقة المتبادلة التي تتسم بها شراكة البلدين اللا محدودة، بما يُعقِد أي محاولات من شأنها دق إسفين في مسار هذه الشراكة.

خلال لقائه مع نظيره الروسي، يوم الثاني من سبتمبر 2025، أشار الرئيس الصيني إلى أن «العلاقات الصينية الروسية قد أصبحت مثالًا بارزًا للعلاقات بين دولتين كبيرتين تتميزان بحسن الجوار والصداقة الدائمين، والتنسيق الاستراتيجي الشامل، والمنفعة المتبادلة، والتعاون، والفوز المشترك» [9].

فيما أكد الرئيس الروسي من جانبه بأنه «يعكس تواصلنا الوثيق الطابع الاستراتيجي للعلاقات الروسية الصينية، التي وصلت إلى مستوى غير مسبوق».

لم تقتصر الإشارات المعبرة عن مدى ما أصبحت عليه الشراكة الاستراتيجية الروسية الصينية من قوة على تصريحات الزعيمين فقط، وإنما تُرجمت أيضًا في توقيع الجانبين لنحو 22 وثيقة للتعاون

الثنائي في مجالات متعددة، مثل الطاقة والفضاء والذكاء الاصطناعي والزراعة والتفتيش والحجر الصحي والصحة والبحث العلمي والتعليم والإعلام [10].

فيما يعد توقيع شركتي غازبروم الروسية ومؤسسة البترول الوطنية الصينية (CNPC) على مذكرة تفاهم ملزمة قانونًا بشأن إنشاء خط أنابيب «قوة سيبيريا 2» لنقل الغاز من روسيا إلى الصين، عبر منغوليا، بمثابة تطور محوري في مسار تعزيز شراكة البلدين الاستراتيجية.

وبحسب «أليكس ميلر» رئيس شركة غازبروم، سيسمح هذا المشروع بتوريد 50 مليار متر مكعب من الغاز سنويًا، ومن المتوقع أن تستمر الإمدادات بموجب الاتفاقية الجديدة لمدة 30 عامًا، مشيرًا إلى أن هذا المشروع، الذي لا تزال بعض تفاصيله الخاصة بموعد الإطلاق والشروط التجارية للتسليم قيد التفاوض، «سيكون الأكبر والأكثر طموحًا والأكثر تكلفةً لرأس المال في صناعة الغاز عالميًا».

وأضاف «ميلر» بأنه تم الاتفاق أيضًا على زيادة الإمدادات عبر خط أنابيب «قوة سيبيريا» من 38 إلى 44 مليار متر مكعب سنويًا، وزيادة إمدادات الغاز عبر مشروع «طريق الشرق الأقصى» من 10 مليارات إلى مليارى متر مكعب سنويًا، ليبدأ توريد الغاز بموجب هذا العقد في يناير 2027. وبموجب هذه الاتفاقات الجديدة، مجتمعة، من الممكن أن يصل حجم إمدادات الغاز إلى 106 مليارات متر مكعب[11].

تحقق الاتفاقات الجديدة فائدة متبادلة لكلا الجانبين، فمن ناحية تستفيد الصين من التخفيضات الكبيرة في أسعار الغاز الروسي، كما تتيح هذه الاتفاقات حرية أكبر أمام بكين للتحوط مستقبلًا ضد احتمال اللجوء للغاز المسال الأمريكي. وعلى الصعيد الروسي، يسهم التعاون المتنامي في مجال الطاقة مع الصين إمكانية لتعويض خسارتها للسوق الأوروبية.

وفي ضوء ما تقدم، تُظهر الاتفاقات الأخيرة قرار الصين بتجاهل الضغوط الغربية، لا سيما الأمريكية، المطالبة بعزل موسكو لوقف الحرب. يعزز من هذا الطرح ما أفادت به صحيفة «فاينانشيال تايمز» أن بكين تستعد لإعادة فتح سوق السندات المحلية أمام شركات الطاقة الروسية الكبرى، لتكون هذه الخطوة هي «أول جمع تمويل للشركات الروسية في البر الصيني منذ عام 2022، وأول بيع للدين الروسي في السوق العامة المحلية الصينية منذ العام 2017» [12].

ترتبط هذه الخطوة بحصول شركة «غاز بروم»، يوم الخامس من سبتمبر 2025، على تصنيف ائتماني AAA ونظرة مستقبلية مستقرة من وكالة التصنيف الائتماني الصينية CSCI Pengyuan، بما يعزز من إمكانية استفادة الشركة من سوق السندات المحلية الصينية[13].

خامسًا:

قدرات الردع الصيني

صُمم احتفال يوم النصر لاستعراض القوة العسكرية التي أصبحت عليها الدولة الصينية، ولتأكيد ما تمتلكه من قدرات متطورة للدفاع والهجوم المضاد.

وخلال كلمته بهذه المناسبة، شدد الرئيس الصيني على أن «الأمة الصينية أمة عظيمة لا تخشى المتنمرين، وتعتز دائمًا بالاستقلال وتمضي قدمًا»، مُضيفًا بأن «على البشرية أن تختار مجددًا بين السلام والحرب، والحوار والمواجهة، والتعاون المربح للجميع، واللعبة الصفرية»، مشيرًا أيضًا إلى أن الشعب الصيني يقف بثبات على الجانب الصحيح من التاريخ وتقدم الحضارة الإنسانية، وأنه سيظل ملتزمًا بمسار التنمية السلمية، وسيتكاتف مع جميع شعوب العالم لبناء مجتمع ذي مستقبل مشترك للبشرية[14].

يبعث خطاب الرئيس الصيني خلال احتفال يوم النصر، إلى جانب ما كُشِف عنه خلال العرض من تطورات هائلة بأسلحة وعتاد جيش التحرير الشعبي الصيني، برسالتين؛ إحداهما إلى الخارج، والأخرى موجهة إلى الداخل.

وفيما يتعلق برسالتها إلى العالم الخارجي، فقد استهدفت بكين من عرضها التأكيد على ارتفاع تكلفة خيار المواجهة معها، خاصة بالمناطق التي تقع ضمن نطاق مطالبها السيادية، فبكين لم تعد تتجنب الصراع وإنما تعمل على تطوير أدواتها العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية والسياسية استعدادًا له. كما يؤكد العرض على أنه لم يعد بالإمكان فرض أي خيار أو قواعد لا تتناسب مع الأهداف والمصالح الصينية.

أما عن الرسالة الموجهة إلى الداخل، فقد أرادت القيادة الصينية تحويل العرض العسكري إلى لحظة من الفخر والوحدة الوطنية، بجانب إبراز استمرار التزام الدولة بـ«بناء الصين كدولةٍ عظيمةٍ على جميع

الأصعدة، وتحقيق النهضة الوطنية العظيمة من خلال التحديث الصيني»، وهو ما يعني، ضمنًا، استمرار التزام الصين بتحقيق هدف إعادة التوحيد الكامل لجزيرة تايوان مع البر الرئيسي للصين.

وعلى صعيد متصل، يحمل العرض العسكري، الذي استمر لنحو 70 دقيقة، مجموعة من الدلالات تتضمن:

1 – الانتقال من المحاكاة إلى الابتكار:

تؤكد القدرات التي كُشِف عنها خلال العرض تحول جيش التحرير الشعبي الصيني من محاكاة تصاميم المعدات العسكرية الأجنبية إلى الابتكار[15]، بل والريادة في بعض القطاعات، وخاصة الطائرات بدون طيار والصواريخ.

كما كشف العرض عن طائرات ستخدم على متن أسطول حاملات الطائرات الصيني، والذي يضم حاليًا ثلاث سفن، ومن المرجح أن تنضم إليه، خلال السنوات المقبلة، حاملة طائرات عملاقة، تعمل بالطاقة النووية، تمتلك نفس حجم وقدرة حاملة الطائرات الجديدة من فئة «جيرالد فورد» التابعة للبحرية الأمريكية.

يضاف إلى ما تقدم الكشف عن أربعة أنواع جديدة من الطائرات المُسيرة «الرفيقة الموالية»، وهي طائرات خفية بدون طيار مصممة للتحليق إلى جانب الطائرات المأهولة ويمكن استخدامها كطُعم. كما عُرضت أربعة أنظمة صاروخية مضادة للسفن وصواريخ هجومية برية، بالإضافة إلى غواصة جديدة بدون طيار وطوربيدات جديدة[16].

وبذلك، فقد أكدت الصين عبر عرضها العسكري تنامي قدراتها الذاتية على إنتاج مجموعات متنوعة ومبتكرة من الأسلحة والأنظمة الدفاعية، بما يعزز واقع انتقالها من موقعها السابق كأبرز مستورد للأسلحة والمعدات العسكرية إلى احتلالها المرتبة الرابعة، بعد الولايات المتحدة وفرنسا وروسيا، كأبرز مُصدر للأسلحة الرئيسية، خلال الفترة من 2020 – 2024[17].

2 – استعداد الصين توسيع نطاق المواجهة:

أظهر العرض أسطولًا من الأسلحة الأسرع من الصوت القادرة على المناورة بسرعة تفوق سرعة الصوت بعدة مرات؛ الأمر الذي يُعقد للغاية عمليات اعتراض هذه الأسلحة من جانب الدفاعات الأمريكية أو الحليفة لها.

كما استعرضت الصين ثلاث قدرات للصواريخ البالستية العابرة للقارات، وتشمل صاروخ «دونغفنغ61-DF-61»، القادر على حمل رءوس حربية متعددة، في مقدمته والصاروخ البالستي العابر للقارات «دونغفنغ5- سي، DF-5C» الذي يمكن إطلاقه من شمال الصين واستهداف الولايات المتحدة، وصاروخ دونغفنغ26- دي متوسط المدى والملقب بـ «قاتل غوام»، والذي يمكن أن يستهدف جزيرة «غوام» التي تضم القاعدة العسكرية الأمريكية الأكبر في منطقة المحيط الهادئ [18].

فيما يشير ظهور صاروخ اعتراضي بالستي من طراز HQ-29، إلى أن بكين تستعد لمواجهة ليس فقط الصواريخ البالستية، ولكن أيضًا الأقمار الصناعية في مدار أرضي منخفض. وبحسب التقديرات العسكرية، سيمثل هذا الصاروخ تحولًا كبيرًا في ميزان القوى الإقليمي، وذلك في حال نشره بأعداد كبيرة؛ الأمر الذي من شأنه تقويض الدفاع الصاروخي الأمريكي وشبكات القيادة الفضائية [19].

3 – تأكيد الردع النووي:

اكتسب تأكيد قدرات الردع النووي مكانة بارزة خلال العرض العسكري؛ إذ قدمت الصين خلال العرض أجزاء بارزة من «ثالوثها النووي»، تؤكد قدرتها على شن ضربة ثانية برية وبحرية وجوية. وبجانب استعراض قدرات الصاروخ البالستي العابر للقارات DF-61، قدم العرض العسكري الصاروخ العابر للقارات JL-3 الذي يُطلق من الغواصات (SLBM) وقادر على حمل رأس نووي، ويمكن أن يصل مداه إلى البر الرئيسي الأمريكي بأكمله، وذلك حتى لو تم إطلاقه من بحر الصين الجنوبي أو بحر الصين الشرقي بالقرب من الصين، دون الحاجة إلى الوجود بموقع متقدم بالمحيط الهادئ.

كما كان هناك اهتمام خاص بالصاروخ البالستي العابر للقارات DF-5C، والذي يُقال إن مداه «يزيد على 20 ألف كيلومتر»، بما يضع «الكرة الأرضية بأكملها تحت نطاق استهدافه»، ويمكن تسليحه برءوس حربية تقليدية أو نووية[20].

4 – دمج تقنيات الذكاء الصناعي:

يرتبط تطور القدرات العسكرية للصين بوتيرة التطوير الصيني لتقنيات الذكاء الصناعي، بما في ذلك في قطاع التصنيع العسكري. وفي هذا الإطار، تدرك بكين أن عنصر الحسم في أي صراع مستقبلي يتمثل في مدى تطوير الدولة لقوة تعتمد على الاستخدام الواسع والمبسط للتقنيات الناشئة، مثل الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات[21]؛ الأمر الذي يفسر إدراج الجيش الصيني لقوات دعم الفضاء والفضاء الإلكتروني والمعلومات بالعرض العسكري[22].

وقد استعرضت هذه الوحدات مجموعة متنوعة من القدرات، بما في ذلك «معدات إلكترونية مضادة» قادرة على «فصل شبكات العدو وكسر السلاسل الرقمية»، و«مركبات الحوسبة السحابية، والاستخبارات الرقمية، والشبكات الجوية-الأرضية، والمعلومات المتكاملة» التي «يمكنها إنشاء أنواع جديدة من الأنظمة السيبرانية بسرعة لدعم العمليات المشتركة».

5 – الاستفادة من الحرب الروسية الأوكرانية:

في ظل الأهمية المتزايدة التي حظيت بها الطائرات بدون طيار في ساحة المعركة بأوكرانيا، لفت انتشار مجموعة متنوعة من الطائرات بدون طيار خلال العرض اهتمام المتابعين؛ حيث تم الكشف عن بعض الابتكارات التكتيكية التي تعتمد على دمج الذكاء الاصطناعي في الطائرات بدون طيار لتعزيز «عمليات صنع القرار والاستهداف الدقيق»، بالإضافة إلى إبراز ما يمتلكه الجيش من قدرات مضادة للطائرات بدون طيار، مثل «نظام متكامل مضاد للطائرات بدون طيار، وأسلحة ليزر عالية الطاقة، وأسلحة ميكروويف عالية الطاقة»، والتي ستشكل جزءًا من «نظام مضاد للطائرات بدون طيار» متعدد الطبقات[23].

كما استعرض الجيش الصيني سلاح الليزر LY-1، المُثبّت على متن السفن، والقادر على إسقاط الطائرات بدون طيار والصواريخ [24]. وأظهر العرض أيضًا «ذئاب روبوتية»، يمكن استخدامها في مهام متنوعة، من الاستطلاع وكسح الألغام إلى مطاردة جنود العدو[25].

6 - إبراز العزم على الامتداد والسيطرة على البحار المحيطة:

أظهرت القدرات التي كشف عنها العرض العسكري، والخاصة بتطوير الصين لمنظومات بحرية غير مأهولة سطحية وتحت الماء، بجانب ترسانة الأسلحة الأسرع من الصوت والطائرات بدون طيار الشبحية، قدرات الصين المتنامية التي تمكنها من الهيمنة على كامل بحر الصين الجنوبي، وتعقد من خطط تايوان الخاصة بإمكانية الاعتماد على التعزيزات الخارجية[26] في حال تطور المواجهة مع الصين. فبحسب القدرات التي كشف عنها العرض، أصبح بمقدور بكين «خلق منطقة لا تستطيع القوى البحرية الخارجية حتى التدخل فيها»[27].

وفي هذا السياق، أشار الفريق متقاعد مارك هيرتلنج - Mark Hertling [28] إلى أن كل قطعة من المعدات المعروضة قد حملت رسالة. «فالصواريخ الأسرع من الصوت تهدف إلى دفع حاملات الطائرات الأمريكية بعيدًا عن آسيا، والطائرات بدون طيار والغواصات غير المأهولة مصممة لجعل العمليات الأمريكية في المياه المتنازع عليها أكثر خطورة، ويشير الليزر إلى طبقة دفاعية جديدة ضد الطائرات والصواريخ الأمريكية ووسيلة لهزيمة أسراب الطائرات بدون طيار، وتعني ترسانة نووية متطورة تمامًا أن الصين قادرة على ردع واشنطن بطرق لم تكن قادرة عليها قبل جيل واحد فقط». وبذلك، نجحت الصين في بناء جيش مصمم ليس ليكون شبيهًا بالجيش الأمريكي، وإنما لمواجهته[29].

سادسًا:

حدود الدور العالمي للصين

تدور الرسائل التي قدمتها الصين إلى العالم خلال كلا الحدثين في مجملها حول قدرة بكين على أن تكون الشريك الأكثر موثوقية، حتى في حال وجود خلافات مع الطرف الآخر. ولكن بالانتقال من المستوى الخطابي إلى مستوى الممارسات العملية، تكشف الأزمات الدولية الأخيرة، من الحرب الروسية الأوكرانية مرورًا بالمواجهة الهندية الباكستانية الأخيرة، ووصولًا إلى ما أفرزه العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة من تداعيات إقليمية، عن حدود الدور الذي ترغب الصين في تأكيده على الصعيد العالمي.

من ناحية، تدرك الصين حجم التكلفة التي تكبدتها الولايات المتحدة من قيادتها العالمية؛ الأمر الذي لا ترغب الصين في تحمله خلال المرحلة الراهنة. وإنما تعمل من جانبها على توظيف هذه التكلفة بشكل يتناسب مع الأولويات المرتبطة بتحقيق الهدف الأسمى، والمتمثل في « تجديد الشباب الوطني العظيم للأمة الصينية »، على جميع الجبهات بحلول ذكرى مئوية تأسيس جمهورية الصين الشعبية عام 2049.

وبناءً عليه، ترفض بكين عسكرة سياستها الخارجية، خاصة بالمناطق البعيدة عن محيط جوارها الجغرافي المباشر، والذي يحظى باهتمامها الأكبر بهدف تأمين مطالبها السيادية في تايوان وبحر الصين الجنوبي. إذ تفضل الصين، بدلًا عن ذلك، الاعتماد على خطابها الدبلوماسي وأدوات سياستها الخارجية السياسية والاقتصادية، دون التورط عسكريًا بالأزمات الدولية.

فعلى الرغم من تفوق قوتها البحرية، وامتلاك أسطولها البحري عددًا من السفن أكثر مما تمتلكه الولايات المتحدة، تفتقر الصين إلى قدرات نشر القوة اللازمة لضمان تأمين مصالحها بالخارج. توجد الصين، بحسب ما هو معلن بشكل رسمي، في قاعدة عسكرية واحدة فقط بالخارج، وهي قاعدتها في جيبوتي. في المقابل، توجد الولايات المتحدة في نحو 750 قاعدة عسكرية، في 80 دولة حول العالم [30]. وبموجب هذا الانتشار الواسع، يقع على عاتق الولايات المتحدة مهام «الضامن الأمني»؛ وهو الأمر

الـذي تسـتفيد منـه بـكين في تـأمين مصالحها ومشـروعاتها التجاريـة والاقتصاديـة حـول العالـم، ويتيـح لها في الوقـت نفسـه توجيـه المخصصـات والمقـدرات الماديـة والعسـكرية إلى المناطق التي تتطلـب، مـن وجهـة نظرهـا، تأكيـد وفـرض قوتهـا ونفوذهـا.

مـن ناحيـة أخـرى، يعـد رفـض الممارسـات الأحاديـة الأمريكيـة علـى النطـاق العـالمي ضمـن أهـم الخيـوط الناظمـة التي تجمـع بين الـصين وعديـد مـن شـركائها حـول العالـم؛ إذ يوفـر هـذا الأمـر أرضيـة مناسـبة يمكـن في إطارهـا تطويـر شـراكات سياسـية واقتصاديـة وتنمويـة وتكنولوجيـة، بمـا يعـزز في النهايـة مـن الـدور العـالمي للـصين. ومـع ذلـك، قـد تتعـرض هـذه الشـراكات لتـأثيرات مـن جانـب الولايـات المتحـدة، سـواء عبر ممارسـة ضغـوط اقتصاديـة أو عسـكرية، أو مـن خلال تقديـم واشـنطن لحوافـز بديلـة، بمـا يؤثـر في مسـار تطويـر تلـك البلـدان لشـراكاتها القائمـة مـع الـصين.

وعلـى صعيـد متصـل، تسـتند أغلـب شـراكات الـصين العالميـة إلى مبـدأ تحقيـق المصلحـة المشـتركة، الذي يسـمو، في بعـض الأحيـان، فـوق اعتبـارات المنافسـة أو الخلافـات. يمكـن رؤيـة هـذا الأمـر في قـرار نيودلهـي بالتقـارب مجـددًا مـع بـكين، برغـم تاريـخ المنافسـة ونزاعهمـا الحـدودي.

لقـد تزامـن القـرار الهنـدي مـع تطبيـق الرئيـس الأمريكـي «دونالـد ترامـب»، خلال شـهر أغسـطس 2025، رسـومًا جمركيـة علـى الـواردات الهنديـة بلغـت نسـبتها الإجماليـة نحـو 50%، نتيجـة عـدم توصـل الجانبين إلى صفقـة تجاريـة قبـل الموعـد النهـائي المحـدد في 1 أغسـطس، ورفـض الهنـد التوقـف عـن شـراء النفـط الـروسي، اسـتجابة لضغـوط واشـنطن التي تـرى في هـذا التوقـف وسـيلة لإنهـاء الحـرب في أوكرانيـا.

يتصـل الخلاف التجـاري الأمريكـي الهنـدي بمشـهد أوسـع مـن الخلافـات الأمريكيـة الهنديـة بشـأن واقـع التقـارب الأمريكـي الباكسـتاني، الـذي اتخـذ أبعادًا، بـشكل أكثروضوحًا، في أعقاب المواجهـة الهندية الباكسـتانية الأخيرة. وبنـاءً عليـه، تسـعى الهنـد مـن تقاربهـا الأخير مـع الـصين نحـو تأكيـد اسـتقلالها الاسـتراتيجي، وقدرتهـا علـى تطويـر شـراكات مـع الجميـع. ومـع ذلـك، يبقـى التسـاؤل بشـأن مـدى اسـتمرار هـذا التقـارب، في حـال إذا قـررت واشـنطن إعـادة ضبـط العلاقـات مـع نيودلهـي، بمـا يؤكـد علـى موقـع الأخيرة كـركيزة أساسـية في خطـط واشـنطن لاحتـواء بـكين.

وختامًا، تشير تحركات بكين وخطابها العالمي إلى إدراكها لحدود ومجالات انخراطها العالمي. كما يُظهر حرص بكين على تطوير وتحديث المؤسسات الدولية القائمة، لا سيما الأمم المتحدة، بجانب إنشاء مؤسسات دولية جديدة كالبنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية، فضلًا عن تطوير مبادرات عالمية كمبادرة الأمن العالمي والحوكمة العالمية، بأنها لا ترغب في استبدال النظام الدولي الحالي بقيادة الولايات المتحدة، خاصة في ضوء المكاسب والمنافع التي استطاعت الصين تحقيقها في إطار هذا النظام.

وعلى صعيد متصل، تدرك الصين مخاطر وتكلفة التصرف كقطب أوحد، ومن ثم فإنه من غير المتوقع تخليها عن موقعها كقوة كبرى ضمن مجموعة من القوى يجمع بينها مصلحة مشتركة، وهي الحفاظ على استقرار النظام الحالي. ولكن في سبيل اكتساب المزيد من المكانة العالمية، وتعزيز موقعها كقطب عالمي مؤثر، لا سيما بين دول الجنوب العالمي، تعمل الصين حاليًا على تطوير أدوات من شأنها أن تعيد تشكيل النظام الدولي من الداخل بدلًا من استبداله، وذلك عبر تعزيز مكانتها داخل المؤسسات الدولية في الوقت الذي تنسحب فيه واشنطن من هذه المؤسسات، علاوة على التداخل بالمجالات التي لا تقع ضمن أولويات واشنطن العالمية، كالمناخ والطاقة النظيفة والبنية التحتية، هذا بالتوازي مع استمرار الترويج لخطابها المؤكد على معارضتها لسياسات الهيمنة والقوة، وأن تنمية وصعود الصين عالميًا لن يعود بالنفع فقط على الصين وشعبها، وإنما سيمثل هذا الصعود فرصة أمام التنمية والسلام العالميين وبناء مجتمع ذي مستقبل مشترك للبشرية.

المراجع

1. Full text of Xi Jinping›s speech at the ‹Shanghai Cooperation Organization Plus› Meeting, The State Council of The People's Republic of China, 1 September 2025, available at: https://english.www.gov.cn/news/20250901//content_WS68b584acc6d0868f4e8f53c8.html

2. Foreign Ministry Spokesperson Guo Jiakun's Regular Press Conference on September 2, 2025, Ministry of Foreign Affairs of People's Republic of China, 2 September 2025, available at: https://www.fmprc.gov.cn/eng/xw/fyrbt/lxjzh/202509/t20250902_11700617.html

3. Steven Langendonk and Matthew D. Stephen, What China Wants With Global Governance, The Diplomat, 12 September 2025, available at: https://thediplomat.com/202509//what-china-wants-with-global-governance/

4. Full text of Xi Jinping›s speech at 25th Meeting of Council of Heads of State of SCO, Xinhua, 1 September 2025, available at: https://english.news.cn/20250901/e34a0825252e4890b2d079613bb1264e/c.html

5. Full text of Xi Jinping›s speech at the ‹Shanghai Cooperation Organization Plus› Meeting, Op.Cit.

6. Rhea Mogul, Should the US be worried? India's Modi set for rare China trip after Trump's tariff sting, CNN, 27 August 2025, available at: https://edition.cnn.com/202526/08//india/india-china-relations-sco-summit-intl-hnk?iid=cnn_buildContentRecirc_end_recirc&recs_exp=up-next-article-end&tenant_id=related.en

7. Alexandra Sharp, China's Military Parade Sends a Pointed Message to the West, Foreign Policy, 3 September 2025, available at: https://foreignpolicy.com/202503/09//xi-china-military-parade-putin-kim-sco-us-venezuela-strike-drugs/

8. نوران عوضين، خيارات محدودة: تحركات دول جنوب شرق آسيا في سياق التنافس الأمريكي الصيني، حالة آسيا: المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، مايو 2025، ص 46، متاح إلكترونيًا: https://ecss.com.eg/wp-content/uploads/2025/05/The_Asian_Case_May_21_A.pdf

9. President Xi Jinping Holds Talks with Russian President Vladimir Putin, Ministry of Foreign Affairs of People's Republic of China, 2 September 2025, available at: https://www.fmprc.gov.cn/eng/xw/zyxw/202509/t20250902_11700541.html

10. Russia-China talks, Kremlin, 2 September 2025, available at: http://en.kremlin.ru/events/president/news/77902

11. Миллер сообщил о подписании обязывающего меморандума о строительстве «Силы Сибири 2», Interfax, 2 September 2025, available at: https://www.interfax.ru/business/1045247

12. Katrina Northrop, Robyn Dixon and Lyric Li, China and Russia sign more deals, but Beijing keeps the upper hand, The Washington Post, 11 September 2025, available at: https://www.washingtonpost.com/world/202511/09//russia-china-relations-deepen/

13. Cheng Leng, China paves way for renminbi fundraising by Russian energy giants, Financial Times, 7 September 2025, available at: https://www.ft.com/content/ee8ddacb-79be-4000-a1ed-716d52c60a37

14. Address by H.E. Xi Jinping at the Commemoration of the 80th Anniversary of the Victory of the Chinese People's War of Resistance Against Japanese Aggression and the World Anti-Fascist War, Ministry of Foreign Affairs of People's Republic of China, 3 September 2025, available at: https://www.fmprc.gov.cn/eng/xw/zyxw/202509/t20250904_11702313.html

15. Alexandra Sharp, China's Military Parade Sends a Pointed Message to the West, Op.Cit.

16. Sam Roggeveen, China's Military Is Now Leading, Foreign Policy, 3 September 2025, available at: https://foreignpolicy.com/202503/09//china-military-parade-technology-pla-weapons/

17. mathew George & Others, Trends in International Arms Transfers 2024, Stockholm International Peace Research Institute (SIPRI), March 2025, available at: https://www.sipri.org/sites/default/files/202503-/fs_2503_at_2024_0.pdf

18. Tessa Wong, What new weapons on show at huge parade say about China›s military strength, BBC, 3 September 2025, available at: https://www.bbc.com/news/articles/cjr1reyr059o

19. Joe Varner, China's Parade of Power, The Diplomat, 5 September 2025, available at: https://thediplomat.com/202509//chinas-parade-of-power/

20. Michael Clarke, Deciphering the Military Signals of China's Victory Day Parade, The Diplomat, 4 September 2025, available at: https://thediplomat.com/202509//deciphering-the-military-signals-of-chinas-victory-day-parade/

21. Michael Clarke, Deciphering the Military Signals of China's Victory Day Parade, Op.Cit.

22. Joe Varner, China's Parade of Power, Op.Cit.

23. Michael Clarke, Deciphering the Military Signals of China's Victory Day Parade, Op.Cit.

24. Takahashi Kosuke, What Were the Weapons on Display in China's Military Parade?, The Diplomat, 3 September 2025, available at: https://thediplomat.com/202509//what-were-the-weapons-on-display-in-chinas-military-parade/

25. Tessa Wong, What new weapons on show at huge parade say about China›s military strength, Op.Cit.

26. Joe Varner, China's Parade of Power, Op.Cit.

27. Greg Torode, China›s parade of new weaponry sends message of deterrence, Reuters, 3 September 2025, available at: https://www.reuters.com/business/aerospace-defense/chinas-parade-new-weaponry-sends-messa

28. قائد الجيش الأمريكي في أوروبا من عام 2011 إلى عام 2012، كما تولى قيادة الفرقة المدرعة الأولى في ألمانيا والفرقة متعددة الجنسيات – الشمال أثناء زيادة القوات في العراق من عام 2007 إلى عام 2009.

29. Mark Hertling, China's Military: 'We're Coming for You', The Bulwark, 5 September 2025, available at: https://www.thebulwark.com/p/the-real-message-of-china-military-parade-pla

30. Jonathan Head, Does China now have a permanent military base in Cambodia?, BBC, 8 October 2024, available at: https://www.bbc.com/news/articles/cx2k42n54kvo